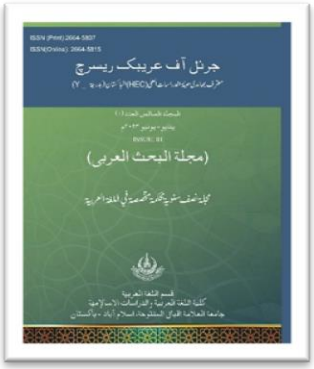

**Journal of Arabic Research**
eISSN: 2664-5807, pISSN: 26645815
Publisher: Allama Iqbal Open University, Islamabad
Journal Website:
https://ojs.aiou.edu.pk/index.php/jar

Vol.06 Issue: 02 (July-Dec 2023)
Date of Publication: 31- Dec 2023 HEC
Category: Y

https://ojs.aiou.edu.pk/index.php/jar

| | |
|---|---|
| Article | اتجاهات شعر الحنين والغربة في الأدب الأندلسي<br>**Poetic Trends of Nostalgia and Estrangement in Andalusian Literature** |
| Authors & Affiliations | **Dr Zaib Un Nisa**<br>Assistant Professor of Arabic<br>Govt Graduate College (W) Sheikhupura |
| Dates | Received:05-08-2023<br>Accepted:12-12-2023<br>Published:**31-12-2023** |
| Citation | **Dr Zaib Un Nisa** , 2023<br>اتجاهات شعر الحنين والغربة في الأدب الأندلسي<br>[online] IRI - Islamic Research Index - Allama Iqbal Open University, Islamabad. Available at: <https://jar.aiou.edu.pk/?p=74722> [Accessed 25 December 2023]. |
| Copyright Information | اتجاهات شعر الحنين والغربة في الأدب الأندلسي<br>2023 © by **Dr Zaib Un Nisa**, is licensed under Attribution-ShareAlike 4.0 International |
| Publisher Information | Department of Arabic, Faculty of Arabic & Islamic Studies, Allama Iqbal Open University, Islamabad |

## Indexing & Abstracting Agencies

| IRI | Australian Islamic Library | HJRS | DRJI |
|---|---|---|---|

**ABSTRACT**

Andalusian literature represents a great legacy of Islamic civilization in our modern era. Among its most significant manifestations are the themes of nostalgia and estrangement. These themes in Andalusian poetry reflect culture and civilization, and embody the experience of the Andalusians, especially after the fall of the cities such as Granada and Córdoba, and the transformation of their social and political conditions.

Andalusian poetry is considered a sincere mirror of a lofty and great civilization. Many Andalusian poets and writers expressed their yearning for the homeland, for family and loved ones, and their sense of loss and alienation in the Eastern or Western Countries. They lament upon the Golden Days of Spain and its long lost Grandure. Their vision revolved around the pain of separation and the glory of the lost past.

The experience of estrangement was deeply rooted in their souls, so they composed poetic verses filled with sadness, grief, longing, and regret. Their poetry was characterized by lamentation and yearning for the homeland. Thus, the motif of estrangement in Andalusian poetry was not merely a transient phenomenon, but rather a profound psychological and intellectual experience with a unified idea and vision.

After the fall of Granada, this nostalgia expressed itself as both a psychological state and a political stance. This emotional state of estrangement and longing was reflected in the creative output of Andalusian poets.

The present study focuses on this poetic motif of nostalgia (ḥanīn) and estrangement (ghurba) and their impact on Andalusian literature. The study adopts a descriptive–analytical methodology, through reading the works of Andalusian poets, extracting poems of nostalgia, analyzing and interpreting them, and finally presenting the key findings and a list of sources and references.

**Keywords**: Andalusian literature – nostalgia – estrangement – Granada – poetic purposes.

إن الأدب الأندلسي إرثٌ كبيرٌ للحضارة الإسلامية في عصرنا الحاضر و ظاهرة الحنين والغرابة في الأدب الأندلسي تعكس الثقافة و الحضارة لتجربة الأندلسيين خاصة بعد سقوط المدن مثل الغرناطة و القرطبة و تغيير الأحوال الاجتماعية و السياسية. كما يعدّ الشعر الأندلسي مرآة صادقة لحضارة عالية و عظيمة و اهتم كثير من الشعراء و الأدباء الأندلسيون بالحنين إلى الوطن و الأحباء و الأصدقاء وننظرهم يعبّرون عن ألم الفقد و الغربة في أرض المشرق أو المغرب و يبكون على أيام الأندلس الذهبية و مجدها الضائع المفقود. و كانت تجربة الغربة عميقة في نفوسهم و قلوبهم وينظمون أشعاراً باكية من شدة الحزن و الحسرة و اللوعة و المعاناة و التشوق والبعد عن الوطن كما أن الغربة في الشعر الأندلسي لم تكن متفرقة من الحنين بل كانا ظاهرين لتجربة نفسية و فكرةٍ واحدةٍ.

إن الشعراء الأندلسيون الذين عاشوا تجربة مريرة من البعد والنفي عن وطنه بعد انقلابات سياسية و ينعكس هذا الشعور بالغربة و الحنين على نتاجهم الأدبي و الفكري و

تشتمل هذه الدراسة على هذا اللون الشعري و أهم شعراء الغربة و الحنين و اتجاهاتهم في الأدب الأندلسي. تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي و ذلك من قراءة دواوين شعراء الأندلسيين و استخراج أشعار الغربة والحنين دراستها و تحليلها و الخاتمة تضم أهم نتائج البحث وقائمة المصادر والمراجع.

الإنسان اتصّل بمكان نشأته الأول وبلاده منذ الزمان القديم ولهذا لم نجد أي أدب من آداب الشعوب والأمم خالية من مظاهر الحب والافتتان بالوطن والتغنى به شعراً أو نثراً بحيث أن الانتماء والحب والحنين للوطن احساسٌ فطريٌ لدى الإنسان وهو يجد نفسه دائماً تمتلئ بالشوق والانتماء نحو الوطن فعندما يبعد الإنسان عن وطنه يشعر بمشاعر الغربة و الحنين وذكريات الصبا و الشباب التي كان يعيشها ونجد هذا الشعور لدى جميع البشر على حد سواء وذلك يظهر في رسالة الجاحظ التي عنوانها " الحنين إلى الأوطان" التي فيها دلائل واضحة على أهمية هذا الشعور وقيمته لدى لبشر، إذ يقول في هذا الصدد "فهؤلا الملوك و الجبابرة الذين لم يفتقدوا في اغترابهم نعمة، ولا تمادروا في أسفارهم شهوة حنوا إلى أوطانهم، ويقنعون بتربهم ومحالهم، ورأيت المتأدب من البرامكة المتفلسف منهم، إذا سافر سفراً أخذ معه من تربة مولده في جراب يتداوي به".[1]

الغربة و الحنين باب قديم في الشعر العربي ولكن الأندلسيين ضربوا فيه بسهمٍ وافرٍ، و صدروا فيها نظموه فيه عن عاطفة صادقة، عاطفة حزن و أسى وتحسر، فليس أعز على المرء من وطنه كان وطنه جنة خضراء كالأندلس و مهد حضارة وعمران، و مكان عز و سلطان، لذلك جاءت العاطفة صادقة نابعة من قلب مؤمن بالله محب للوطن.[2] وقبل الخوض في الشعر الأندلسي لابدّ من الوقوف على المعنى اللغوى والاصطلاحي لكلمة "الغربة" و"الحنين".

---

[1] الجاحظ، أبو عثمان بن بحر: الحنين إلى الأوطان، تحقيق وتعليق: الشيخ طاهر الجزائري، القاهره: المطبعة السلفية، 1351م، الطبعة الثانية، ص: 40-41.

[2] الكسواني، مصطفىٰ خليل، زهدى محمد عيد، قطنانى حسين حسن، مختاران من الشعر العربي القديم، عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، الطبعة الأولىٰ، 2013م، ص: 174.

**الحنين:**

**الجانب اللغوي:**

حن يحن حنيناً، صوّت و الحنين: صوت الطرب لحزن أو فرح، و الحنين: الشوق وتوقان النفس. والحنين بمعنى الصوت وبمعنى الشوق متقاربان–وحنت الإبل إلى أوطانها: أي نزعت، وحنت الناقة في إثر ولدها: أي أصدرت صوتاً مع النزوع إليه، وقيل: حنين الناقة هو نزوعها بصوت و بدون صوت، والأكثر أن الحنين بالصوت.[3] والحِنَّة بالكسر: ررقة القلب.

**الجانب الاصطلاحي:**

"فالحنين رحلة في الزمان ودعوة إلى الوراء لمعايشة الماضي شعرا و استرجاعه، واستحضاره
على مستوى المكان والأهل والوقائع".[4] ونلاحظ أن الحنين فيه مَيْل و التواء، هو الانتماء إلى شيءٍ مفقودٍ، سواء
أكان ذلك الانتماء مادياً أم معنوياً.

**الجانب اللغوي:**

عند ابن منظور الغَرْبُ: هو الذهاب والتنحي عن الناس، وقد غَرَبَ عنّا يَغْرُبُ غرباً، وغرّب وأغْرَب: إذا ذهب و تنحى. وغرَّبَه وأغْرَبَه: إذا نحّاه، والغَرْبَة، والغَرْب: النوى والبعد، وغَرْبة النوى: بعدها، وغَرَبَ: أي بَعُدَ ويقال: اغْرُب: عنى: أي تباعد، و الغُربة والغُرب: النزوح عن الوطن.[5]

**الجانب الإصطلاحي:** الغربة والاغتراب من الجانب الاصطلاحي يعني: النزوح عن الوطن، أو البعد و النوى، أو الانفصال عن الآخرين. وهذا المعنى يرتبط ارتباطاً قوياً بالمعنى

---

[3] ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، بيروت: دار صادر، الطبعة السادسة، 1997م، 15/1.

[4] طحطح، فاطمة: الغربة و الحنين في الشعر الأندلسي، الرباط: الدار البيضاء، منشورات كلية الآداب، الطبعة الأولى، 1993م، ص: 35.

[5] ابن منظور: لسان العربن مصر: دار المعارف، 1979م، ص: 21.

الاجتماعي الذي يوضح من خلاله أن هذا الانفصال لا يمكن أن يتم دون مشاعر نفسية، كالخوف أو القلق أو الحنين تسببه أو تصاحبه أو تنتج عنه.[6]

و الاغتراب عند المحدثين: "هو حالة نفسية ليشعر فيها الإنسان بالانفصال من خلالها عن افراد المجتمع وعدم التواؤم والانسجام والتوافق معهم بالشعور بالعزلة وسط الافراد لعدم القدرة على التكيف معهم أو الانفصال عن الذات.[7]

إن مقابل كلمة الغربة والاغتراب في اللغة الانجليزية (Alienation) والفرنسية (Alienation)، ويشير Alienatio)، و أصلهما من الكلمة اللاتينية ألياناتو (Alienation( الاغتراب في تلك اللغات إلى حالة تحول الكائن إلى خارج ذاته، أو تجاوز ذاته، وقد استخدمت كلمة الاغتراب في العلاقات الإنسانية لتدل على الإحساس الذاتي بالغربة، أو الانسلاخ (detachment) سواء عن الذات أو عن الآخرين.[8] وفي رأي صالح بلال أن المعنى المشترك في معظم المعاجم، هو الانفصال والابتعاد.[9] ويلاحظ أن الاغتراب له بعدان: طوعي وقسري، فالطوعي يمثل نفسية من يحب التنقل والبعد عن وطنه وأهله بمحض إرادته، للكسب أو السياحة أو غير ذلك. و أما القسرى يعبر عن مفارقة إجبارية، كمفارقة المحارب المجبر، أو المضطر لكسب الرزق، أو من نفاه السلطان رغماً عنه.[10]

---

[6] رجب، محمود: الاغتراب، الإسكندرية: منشأة المعارف المصرية، 1978م، 43/1.

[7] زهرمساعديه: نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي: الجزائر: دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2013م، ص: ٦٤.

[8] عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، القاهرة: دار غريب، ٢٠٠٣م، ص: 23.

[9] صالح، بلال يعقوب: الاغتراب في شعر المتنبي، ماجستير، الجامعة الهاشمية، الأردن، 2004م، ص: 24.

[10] صالح، بلال يعقوب: الاغتراب في شعر المتنبي، ماجستير، الجامعة الهاشمية، الأردن، 2004م، ص: 69.

أما عن تطّور الاغتراب، فيبدو أنه سمةٌ جوهريةٌ للوجود الإنساني يمكن رصدها في الأزمان كلها، وفي المجتمعات كافة، ويبدو أن الإنسان منذ بدأ يضرب في الأرض، قد حمل في جوانبه ضروباً من الإحساس بالغربة لونت قطاعات عريضة من أدبه بهذاالإحساس.[11] عرف موضوع الغربة و الحنين اهتماماً كبيراً من لدن الكتاب والأدباء في التراث العربي، فمنهم من حنّ إلى أهله و دياره، ومنهم من حنّ إلى وطنه واشتاق للحمى، ونتج عن ذلك مؤلفات عديدة، حيث ذهب البعض إلى تأليف كتب في ذلك، وذهب البعض الآخر إلى تأليف رسالة ضمن كتاب، ومنهم من ذكر ذلك عرضاً، وكل هؤلاء الكتاب والمؤلفين أدركوا أهمية الغربة والحنين والشوق في نفوس المسلمين والعرب في مختلف العصور.[12]

كانت نزعة الحنين قد ضربت بجذورها في أعماق الشعراء الأندلسيين، كيف لا وهم من أكثر الناس تعلقاً بأوطانهم، وحباً لها لقد ضرب هؤلاء الشعراء أروع الأمثلة في حب الوطن والتعلق به، ظهر ذلك واضحاً جلياً من خلال الأشعار التي نظموها، والتي تعبر عن مدى تعلقهم بأوطانهم وحبهم لها، ولعل السبب في ذلك راجع إلى ما تتمتع به الأندلس من طبيعة خلابة و موقع جغرافي، هذا الجمال الذي خَصها به الله سبحانه و تعالىٰ من خلال الأنهار، والبساتين، والرياض، والأزهار، والبرك والقصور كل هذا جعل الشاعر الأندلسي يتعلق بمدينه ومسقط رأسه، ويصورها في شعره من خلال لوحاته الشعرية الجميلة التي تعكس حبه لها، ويزداد هذا الحب وهذا التعلق حين يكون بعيداً عن مدينته بينها وبين مدن أندلسية أخرى بشكل قسري أم طوعي هذه المدن لا تقل جمالاً ولا روعة عن مدينة التي ارتحل عنها.[13]

---

[11] فهمي، ماهر حسن: الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث، بيروت، دار القلم، الطبعة الثانية ، ١٩٨١م، ص: ٧.

[12] الجبوري، يحيى (دكتور): الحنين والغربة في الشعر العربي، الحنين إلى الأوطان، عمان: دار مجدلاوي، الطبعة الأولىٰ، 2008م، ص: 14.

[13] مها روحي: الحنين والغربة في الشعر الأندلسي، أطروحة الماجستير في اللغة العربية بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ٢٠٠٧م، ص: ٣٣.

فكان حنينهم إلى الأندلس مليئ بإحساس مرهف و نفوس معذّبة التي تجر عن مرارة الاغتراب. ومن الشعراء الأندلسيين الذين خرجوا من وطنهم بعد سقوطها، الشاعر الأندلسي "ابن خفاجة" الذي يبكى بفراق مدينته "شقر" غادراً إلى العدوة المغربية، فيقول:

حين ألقت بنا الامانى بين شقر و ملتقى نهريها

عصاها

يستخف النهى فحلت حباها وتغنى المكاء وشاطئيها

وارف ظلها لذيذكراها عشية أقبلت شهي جناها

من حياة إن كان يغني فتعالى يا عين نبك عليها

بكاها[14]

هناك يتحسر الشاعر على الأيّام الماضية في مسقط رأسه "شقر"، وبعد لم يكن أمامه سوى الهجرة طريقاً ولذا هجر عديداً من أبناء الأندلس دون الرجاء للعودة إلى الوطن بعد سقوطه بيد العدو الأسباني. ففى هذه الأبيات يظهر الشاعر ألم الفراق، مرارة الشوق و نارالحنين إلى بلده ولكن عودته مستحيلة ويبكى على فراقه.

و من شواعر الأندلس حسانة التميمية التي عبرت عن شوقها وحنينها بالبكاء إذ تقول:

حنين والهة جنت إلى وطن ابكى عليه حنينا حين اذكره

وطير النوم عن عيني وارقني ابكي على ما جنت ظهرى مصيبته

حمامة أوبكى طير على والله لا انسى حبى الدهر ماسجَعت

فنن[15]

---

[14] الحميري، محمد، عبد المنعم: الروض المعطار في خير الأقطار، تحقيق: احسان عباس، بيروت: مؤسسة ناصر الثقافة، 1980م، الطبعة الثانية، ص: 349-350.

[15] د.وأقدة يوسف كريم: ديوان شواعر الأندلس، مكتبة سامراء للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٢٠ م، ص: ٣٤.

ربطت الشاعرة حنينها بالبكاء على الوطن العزيز، و هذا الحنين وشعورها بالوحدة و الغربة من بعد زوجها المتوفى جعل الشاعرة تصاب بأرق مرهق حتى أنها لم تستطع النوم في الليالي، ولهذا هذه الأبيات مملوءة بمشاعر صادقة. والشاعرة الأندلسية سارة الحلبية تشعر الحنين من أهم البواعث النفسية الذي كان كملامح لصور الشعرية لدى الشاعرة ومن أروع النصوص التي قيلت فيها هذا قولها:

والبين أسلمني لكل هوان  البين شردني عن الأوطان
أم هل تذوق الغمض لي  يا هل لقلبي المبتلى من راحة أجفاني
وتغربي عن موطني ومكاني  إرثى فديت لقلتى
ماحنَّ مشتاق إلى الأوطان[16]  لأزلت في عز يدوم ورفعة

الشاعرة ابتدأت أبياتها بلفظة "البين" أي الفراق و الانفصال من الوطن وهي تمثّل شعوراً بالاسى والحسرة والآلام والمعاناة التي تمثل تقاسيها الشاعرة والبعد والفراق والهجرة عن وطنها وأهلها وحنينهالهم هو الباعث النفسي لنظمها

هذه الأبيات. قد احتلت غرناطة بشكلٍ خاصٍ، و الأندلس بشكل عام مكانة رفيعه وعالية في نفوس الشعراء الذين نظموا قصائد تتميّز بشحنة كبيرة من العواطف المتأججة، تظهر تعلّق هولاء الشعراء ببلدهم. و أحسن ما قال الشاعر ابن الجياب عن وطنه:

لأندلس من غير شرطٍ ولا  أبى الله الا أن تكون اليد العليا ثُنْيَا
فصيَّرتِ الشهدَ المشُورَ بها  وإن هي عضّتْها بنوبِ نوائبٍ شريا
يُقيمون فيها الرسمَ للدّين  فما عَدِمَتْ أهلَ البلاغة والحجا والدنيا

[16] وأقدة يوسف كريم: ديوان شواعر الأندلس، مكتبة سامراء للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٢٠ م، ص: ٨0.

تخالُ النجومَ النّيرات لها حليا وإن شعروا جاؤوا بكلِّ غريبةٍ

علينا وفي الأخرى إذا حانت وأسألُ في الدنيا من اللهِ سِترَهُ

أُلّقْيا[17]

قد يشعر ابن الجياب الحب الصادق والوفاء الكامل الذي يصدر عن كل شخص تجاه وطنه وأهله. ويظهر الشاعر حبه لأهل الأندلس واعترافه بفضائلهم، وهذا ما دفعه للمفاخرة بهم. وهو يعبّر عن إعجاب بجمال الوطن لأن هذا الوطن صمد في وجه التحديات و مصائب الدهر والآلام، وهو يتمنى اليد العليا له مازال أهله يتميّزون ببلاغتهم وعقولهم الراجحة ويدعو الشاعر لهم بالستر في الدنيا والآخرة.

خرج أبو البقاء صالح بن شريف الرندي من الأندلس إلى المغرب ومكث في مدينة مراكش قال في الشوق والحنين إلى الأندلس وإلى مدينة رندة خاصة:

بذمامِ ما في الحُبّ من أسرارِ بحياة ما ضَمَّت عُرى الأزرارِ

بالبيتِ بالأركانِ بالأستارِ بالحِجْرِ بالحَجَر المكرَّم بالصَّفاَ

تقضي بها وطراً من الأوطارِ بالله إلا ما قضيت لُبانةً

جَوْرَ الزَّمانِ و قِلَّةَ الأنصارِ[18] وتكُفُ من أشجانِ صبّ يشتكي

الشاعر يبعث رسالة الشوق والحب والحنين إلى بلده "رندة " مدينته ومسقط رأسه وملعب صباه في هذه الأبيات نجد مشاعر الألم و الفراق ببلده وغربته عنه والشوق إلى وطنه في الأبيات المذكورة التي مليئة بالمعاطفة العميقة يقصد بها الشاعر مشاعر حزن وأسى، والمعاني التي تثور في نفس المغترب. أما شاعر غرناطة ابن خاتمة الأنصاري يقول عند موقف الوداع:

لم يَدرِ كيف تَوَلُّه العُشّاق من لم يُشاهِد مَوقِفاً لفراق

يُخبركَ عن وَلَهي وَهولِ سِياق إن كُنتَ لم تَرَهُ فسائِل من رأى

وَ صَدوعِ أكبادٍ وفيض مآق مِن حَرِّ أنفاسٍ و خفق جوانح

---

[17] المقري، شهاب الدين أحمد: نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: احسان عباس، بيروت: دار الصادر 458/5.

[18] الداية: محمد رضوان: في الأدب الأندلسي سوريا: دار الفكر، ٢٠٠٠م، ص: 138.

عندَ الودَاعِ طايعٌ مُتَراق[19] دُهيَ الفؤادُ فلا لِسانٌ ناطِقٌ

يظهر الشاعر معاناته و عذابه بسبب الوادع والفراق، في هذه الأبيات، ويفيض قلبه بالحب و الحنين إلى وطنه ودموعه تنهمر باستمرار وأما لسانه عاجز عن الكلام في وقت الوداع لأن مقام الهجر والفراق أشدّ على النفوس البشرية في كل زمان ومكان. قد أثر هذا الفراق والوداع في نفس الشاعر و لذا نظم شعراً في تصوير لحظات الوداع.

لقد رسم لنا الشعراء عبر العصور مشاهد الوداع بشكل مؤثر، يبعث في النفس الكآبة والمرارة والحزن، وفي الشعر الأندلسي أبدع الشعراء في تصويرهم لهذه المشاهد، فصوّروا الأيام الماضية بما حملت من ذكريات جميلة، كما ركّزوا على تصوير هذه المشاهد من خلال قصائد المديح.[20]

قد أدى سقوط المدن الأندلسي إلى ترك الأوطان والنزوح عنها، وازدياد الهجرة، الهروب إلى حيث الأمن والاستقرار، وقد أدى ذلك إلى أن يترك الإنسان في مدينته المنكوبة أمتعته و ممتلكاته، وذكرياته. كما أدى البحث عن الرزق والتطلع إلى حياة هانئة، وعيش رغيد إلى الرحيل إلى بلاد نائية، وجهات قاصية، قد يطول سفر الشاعر إليها من غير عوده.[21] فالحنين إلى الوطن العربي كان بصمة في الشعر الأندلسي، "فالأندلس قبلة شاعرها كيف اتجه وانى اغترب، لا ينقطع عن ذكرها، ولا يرى بلدا في الدنيا يضاهيها، فجمالها فوق كل جمال و عمرانها دون كل عمران".[22]

---

[19] ابن خاتمة، أحمد بن على: ديوان ابن خاتمة الأنصاري الأندلسي، تحقيق: محمد رضوان الداية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ص: ١١٨.

[20] مها روحي: الحنين والغربة في الشعر الأندلسي، ص: 97.

[21] رجب، محمود: الاغتراب، 45/1.

[22] البستاني، بطرس: أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث، بيروت: دار نظير عبود، 1979م، ص:93.

و من الراحلين عن أوطانهم الشاعر الأندلسي لسان الدين ابن خطيب، وإن كانت غربته عن وطنه لم تتجاوز الأندلس، فقد قضى أيامه بعيداً عن وطنه في جبل الفتح قريباً من غرناطة، فهو يعبّر عن شوقه لغرناطة عند غيابه عنها فهو يقول:

وقد قوّضَت عند الصباحِ سَلُو عن فؤادي بعدكُم كيف حاله

رحالُه

فسلوان قلبي في هواكم محالُه ولا تحسبُوا أنّي انى سلوت على النَّوى

وفي الشرق أهلوه، وثمَّ حلالُهُ وما حالُ من شطت بغربٍ ديارهُ

يقلُّ لها ذكرُ الفتى ومقالُهُ[23] فكم لى على الوادي بها من عَشِيَّةٍ

يشعر الشاعر علاقة قوية بوطنه حيث خرج من مدينة إلى مدينة أندلسية أخرى لأن الشاعر الأندلسي عاش فيها و ترعرع وتبقى لها مكانة متميزة في قلبه و روحه، و حينما ابتعد عنها لبعض رحلاته هو يعبّر عن شوقه وحنينه لبلده، كأنّها صارت جزءاً من نفسه وذاته أو حاجة ماسة من حاجات نفسه.

و من الشعراء الذين هاجروا من أوطانهم فراراً من سوء المصير الذي ينتظرهم الشاعر الأندلسي لسان الدين بن الخطيب الذى كانت له مكانةً عظيمةً في نفس سلطانه الغني بالله، بل كان وزيراً له إلا أن الوشاة والحاقدين عليه أو غروا صدر سلطانه عليه واتهموه في دينه، فلما أحس ابن الخطيب بتغيره عليه، وأنه على وشك أن يوقع به خرج من وطنه غرناطة إلى ناحية غير بعيدة، وضح سبب خروجه حيث خرج فراراً من مصيره المحتوم وهو الموت، ولم يكن بأمل أن يعود إلى وطنه ثانية، وهذا ما كان فعلاً، فعلى الرغم من رغد الحياة التي لاقاها في بلاد العدوة عند سلطان فاس وفي "سلا" بالتحديد، إلّا أنه حن إلى موطنه غرناطة فكتب أبياتاً يتشوق فيها إلى وطنه الذي يتلهف إلى الصورة إليه ولكن هيهات له ذلك،[24] يقول:

---

[23] ابن الخطيب، لسان الدين: ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام، ترجمة: محمد شريف قاهر، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1973م، ص: 572-573.

[24] مها روحي: الحنين والغربة في الشعر الأندلسي، ص: 90.

ولَكَمْ تراءى آهلاً مأنوسا ما لِلحمَى بَعْدَ الأحِبَةِ مُوْحِشَا

درَستْ مَعاني الأُنسِ فيه أُترى بُعَيدَ الدّهر عهداً للقبا

دروساً[25]

يشعر الشاعر أن ليس له أنيس في الوطن حيث بدأ موحشاً بسبب رحيله وخروجه عنه بعد أن كان عامراً بأهله. وهو يشتهي ويتمنى أن يعود إلى الوطن لكن يستحيل العودة لأن فيها نهايته وبالرغم أهل وطنه يسبون له من

أساءة إلا أنه كان يواجه ذلك بالإحسان والبّر.

ومن الشعراء الذين حبّوا وعشقوا أوطانهم فحنوا إليها في غربتهم الشاعر الأندلسي ابن زيدون المولود بقرطبة هو عاش فترة من حياته مشرداً عن وطنه، بعيداً عن أهله، مفارقاً أحبّابه، فكانت إذا قصائد ابن زيدون في الحنين إلى موطنه فيها أحاسيس من يغترب عن وطنه، لأنه قضى نصف حياته في الغربة والبعد، ورغم المجد الأدبي والمناصب الرحيلة ولكن لم ينس حبه لأرضه قرطبة. وحيث نجد ابن زيدون يُنادى أهل القرطبة، موضحاً مدى ألمه وفراقه في غربته عن الوطن قائلاً:

بالشوق قد عاده من ذكرِكم إن كان عادكم عيد فرب فتى

حزن

فَبَاتَ يُنشِدُهَا–ممّا جَنَى اَلزَّمَنُ وَافرَدَتْهُ اللّيَالي مِن أحِبَّته

ولا تَدِيم! ولا كأسٌ! وَلَا ريمَ التَّعَلُّلُ؟ لا أهلٌ! ولا وَطَنٌ!

سَكَنٌ[26]

يظهر ابن زيدون معاناتة في البعد عن وطنه فما يرى أمامه طريقاً إلا أن يرسل السلام إلى بلده من خلال شعره التي صاغها اثناء غربته في (بطليموس) قاعدة ملك بني الأفطس، التي تقع في الشمال الغربي من قرطبة حيث يقول:

لم أرَلي–في أهلها– ضَريبَا إذ الرَّزَايَا أصْبَحَتْ ضُرُوبَا

---

[25] المقري، شهاب الدين: نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ١٩٦/٦.

[26] د. علي عبد العظيم: ديوان ابن زيدون و رسائله، القاهرة: نهضة مصر، ١٩٨٠م ، ص: 163-162.

في الغَرْبِ إذْ رُحْتُ به غَرِيبا قد مَلأَ الشَّوقُ الحَشَانُدُوبا

أَدنَى الضَّنَى إذ أَبْعَدَ الطَّبِيبَا عَلِيلَ دَهرٍ سَامَنِي تَعذِيبا

والْجَانِبَ المسْتَوْضَحَ إذا أَتَيْتَ الوَطَنَ الحَبِيْبَا

الْعَجِيْبَا[27]

يستمر الشاعر الأندلسي حنينه إلى قرطبة التي مسقط رأسه و موطن نشاته، حينما يستقر ويقيم به الشاعر إلا أن تغلب عليه مشاعر الغربة عن الوطن وهو يرتبط ذكرياته بالوطن الذي يمثل مصدراً أساسياً لإلهامه وإبداعه فأبياته توضح للمتلقي مدى نمو الشعور الوطني لدى الشاعر وتعلقه به. كان للعاطفة أثرها البالغ في شعر الحنين"العاطفة هي الانفصال النفسي المصاحب النص"[28]. فهي تحرّك نفسي، بينما الفكرة شيء عقلي، فالذهاب إلى الحديقة مثلا فكرة لكن حب الذهاب إليها والتردد عليها في أوقات معينة عاطفة.[29] إن أهمّ صفات الأدب أن يكون طبيعياً، وأن يكون صادق الإفصاح عن المعاني الحيوية، دقيقا في تصوير النزعات وما يتغلغل في الصدر من ميول وآمال، و أن يعرض لكل هذا في غير تكلف.[30] قد عرض شعراء الأندلس بشعرهم أسمى صفحات الوفاء والحب والحنين لاؤطانهم، بسبب الظروف القاسية والفتن الداخلية والحالات السياسية هم مضطّرون للخروج من الوطن، ففاضت أشعارهم بالشوق والحنين و الحب للوطن. وبالفراق والالم والعذاب بسبب الغربة عن الوطن فقد نظم هؤلاء الشعراء شعر في الحب يتميز بصدق العاطفة وفيض الشعور ورهافة الحس وعمق التجربة، فالشاعر الأندلسي متصل بأهله ومتعلق ببلده صحب له، حتى إذا ما

---

[27] علي عبد العظيم: ديوان ابن زيدون و رسائله، القاهرة: نهضة مصر، ١٩٨٠م ، ص: 154-155.

[28] أحمد الشايب: أصول النقد الأدبي، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية المصرية، ١٩٧٣م، الطبعة الثانية، ص: 572،573.

[29] عبدالقادر، أبو شريفة: مدخل إلى تحليل النص الأدبي، عمان: دار الفكر، 1990م، ص: ٢٥.

[30] عبد الحميد، حسين: الأصول الفنية للأدب: مصر: مكتبة الأنجلو، ١٩٦٤م، ص : ٧١.

ارتحل عن أهله و دياره و ترابه ووطنه حنّ إليهم، وخفق قلبه شوقاً إليهم. ويقول عبد عبدالكريم القيسي في حب الوطن والانتماء اليه شعراً:

فغدت تسيل بوجنتي غماماً إنّي فضضت عن الدموع ختاماً
كانوا وعيشهم علي كراما شوقاً إلى عيش قضى بأحبة
قلب بهم ما يستفيق غراماً يا ساكنين ببسطة دوني، ولي
فالقلب في تلك الديار وإننى إن كنت عنكم نازحاً
أقاماً[31]

هذا الشاعر الأندلسي ذاق تجربةً قاسيةً لوجه الغربة عن الأهل والوطن الذى وقع أسيراً في يد الأسبان، ويكاد قلبه ينشقّ بفراق وطنه وأهله وأصدقائه وأحبائه ويفيض الدموع في أمل اللقاء ويتمنى عودة أيام الأنس لأنه ذاق مرارة الفراق عن الأحباء، وهو يظهر عواطفه نحو الوطن والأهل في أسلوب رقيق وألفاظ لينة عذبة.

وقد تفنّن شعراء الأندلس في موضوع الحنين فبدأ شعرهم بليغا بتوظيف الصور البيانية كالتشبيه بأنواعه والمجاز والاستعارة والكناية، وذلك لتقوية المعنى و التعبير عن مدى أثر الغربة في نفسية الشاعر، فذهب الشاعر الأندلسي في وصف الحنين إلى وطنه وأهله وأيام شبابه بعيداً باستخدام الخيال أحياناً فنجده يكلّم الأنهار والرياح و يشكو للطير أشواقه ويبعث بتحياته لمفارقيه مع النسيم.[32]

وفي الختام يمكن القول بأن الشعر الحنين الأندلسي يعبّر عن عواطف صادقة دون مبالغة في المعاني أو في التصوير و الصنعة اللفظية ونجد الأفكار و العبارات واضحة خالية من الغموض و الأسلوب فنّي بسيط وأنيق و رائع خال من الابهام والتعقيد ونلاحظ في الشعر الأندلسي إظهار المعاناة الوجدانية التي وصلت الشاعر بسبب فقد الوطن، فالشعر مليءٌ بالأنين والألم

---

[31] القيسي، عبد الكريم: ديوان عبد الكريم القيسي، تحقيق: جمعة قيسه و محمد الهادى الطرابلسي، قرطاج: بيت الحكمة، ١٩٨٨م، ص: 101.

[32] عباسة سامية: الحنين في الشعر الأندلسي، ص: ٧٣.

والمعاناة من خلال السياق التعبيري وقيمة الولاء والانتماء للوطن عند الأندلسيين، إذ ظهرت هذه القيم الغالية في وقت اغترابهم عن الوطن في ظل سوء الظروف القاسية التي فرضت الرحيل عنه. وبعد هذه الرحلة في طابع الغربة والحنين في الشعر الأندلسي نتوصل إلى نتائج منها:

- لقد شكّل الغربة والحنين أهمّ محاور الشعر الأندلسي. بعد فقدان الوطن، فصار الشعر الأندلسي صوتاً باكياً يخلّد حضارة عظيمة فقدها أهلها وأن هذه ظاهرة الغربة و الحنين تعكس مدى حزن و حرمان الشاعر من فراق وطنه الغالي والألم النفسي والانعزال الثقافي.
- أما في بداية العصر الأندلسي كان الشعر مليءٌ بجمال الأندلس وطبيعتها والعلاقة بمظاهر الكون ولكن بعد السقوط تحوّل إلى شعر حنين وغربة وحزن وندب ونجد التطور في الموضوعات من وصف الطبيعة إلى الرثاء والشكوى والألم والفقدان.
- ليست الغربة في الشعر الأندلسي ناتجة عن الرحيل الجسدي فقط بل كانت هذه الغربة دينية وثقافية ونفسية، ولذلك وجد فيها الأندلسى بالانعزال و الانكسار والألم و المآسي رغم وجوده في بلاد إسلامية.
- لعب شعراء الأندلس دوراً تاريخياً مهّماً في توثيق مأساة الأندلس خلال شعرهم وحافظوا على هوية الأندلس الثقافية الدينية من خلال الإبداع الشعرى.

وهناك توصيات:

- إدراج نصوص الشعر الأندلسي في المناهج التعليمية لأنها تُعدّ وسيلة فعّالة لترسيخ القيم والهوية والانتماء.
- اهتمام المؤتمرات والندوات خاصة بتراث الأندلس الشعري، لأن في هذه التجربة من دروس في الحفاظ على الهوية ويمكن أن تُسهم في أحياء الوعي الإسلامي والثقافي.

- اليوم لفهم حال المجتمعات المهاجرة من انحاء العالم الإسلامي، يمكن لنا الاستفادة من تجربة الأندلسيين في التعامل مع الغربة والضياع.
- تحليل الأدب الأندلسي من خلال علم النفس الأدبي يساعد على فهم نفسية الإنسان تحت الحالات القاسية والفقد والحرمان وأفعاله بين الخوف و الأمل.

## المصادر والمراجع:


- ابن الخطيب، لسان الدين: ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام، ترجمة: محمد شريف قاهر، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1973م.
- ابن خاتمة، أحمد بن على: ديوان ابن خاتمة الأنصاري الأندلسي، تحقيق: محمد رضوان الداية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي.
- ابن منظور: لسان العرب، مصر: دار المعارف، 1979م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، بيروت: دار صادر، الطبعة السادسة، 1997م.
- أحمد الشايب: أصول النقد الأدبي، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية المصرية، ١٩٧٣م، الطبعة الثانية.
- البستاني، بطرس: أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث، بيروت: دار نظير عبود، 1979م.
- الجاحظ، أبو عثمان بن بحر: الحنين إلى الأوطان، تحقيق وتعليق: الشيخ طاهر الجزائري، القاهره: المطبعة السلفية، 1351م، الطبعة الثانية.
- الجبوري، يحيى (دكتور): الحنين والغربة في الشعر العربي، الحنين إلى الأوطان، عمان: دار مجدلاوي، الطبعة الأولىٰ، 2008م.
- الحميري، محمد، عبد المنعم: الروض المعطار في خير الأقطار، تحقيق: احسان عباس، بيروت: مؤسسة ناصر الثقافة، 1980م، الطبعة الثانية.
- د. علي عبد العظيم: ديوان ابن زيدون و رسائله، القاهرة: نهضة مصر، ١٩٨٠م.
- د.و أقدة يوسف كريم: ديوان شاعر الأندلس، مكتبة سامراء للنشر والتوزيع، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٢٠ م.

- الداية: محمد رضوان: في الأدب الأندلسي سوريا: دار الفكر، ٢٠٠٠م.
- رجب، محمود: الاغتراب، الإسكندرية: منشأة المعارف المصرية، 1978م.
- زهرمساعديه: نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي: الجزائر: دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولىٰ، 2013م.
- صالح، بلال يعقوب: الاغتراب في شعر المتنبي، ماجستير، الجامعة الهاشمية، الأردن، 2004م.
- طحطح، فاطمة: الغربة و الحنين في الشعر الأندلسي، الرباط: الدار البيضاء، منشورات كلية الآداب، الطبعة الأولىٰ، 1993م.
- عباسة سامية: الحنين في الشعر الأندلسي.
- عبد الحميد، حسين: الأصول الفنية للأدب: مصر: مكتبة الأنجلو، ١٩٦٤م.
- عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، القاهرة: دار غريب، ٢٠٠٣م.
- عبدالقادر، أبو شريفة: مدخل إلى تحليل النص الأدبي، عمان: دار الفكر، 1990م.
- فهمي، ماهر حسن: الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث، بيروت: دار القلم، الطبعة الثانية ، ١٩٨١م.
- القيسي، عبد الكريم: ديوان عبد الكريم القيسي، تحقيق: جمعة قيسة و محمد الهادى الطرابلسي، قرطاج: بيت الحكمة، ١٩٨٨م.
- الكسواني، مصطفىٰ خليل، زهدى محمد عيد، قطنانى حسين حسن، مختاران من الشعر العربي القديم، عمان: دار صفاء للنشر والتوضيع، الطبعة الأولىٰ، 2013م.
- المقري، شهاب الدين أحمد: نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: احسان عباس، بيروت: دار الصادر.

- مها روبي: الحنين والغربة في الشعر الأندلسي، أطروحة الماجستير في اللغة العربية بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ٢٠٠٧م.